وقفات مع مفاهيم ومناسبات إسلامية

الحج

نموذج الوحدة الأمثل

راضي ناصر السلمان

كافة حقوق الطبع محفوظة ومسجلة للناشر

دار هجر للطباعة والتحقيق والنشر
التابعة للمدرسة الأحسائية في النجف الأشرف

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨م

الطبعة الأولى

النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠١٧) لسنة ٢٠١٨م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ}[1]

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله محمد الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

زيارة المسجد النبوي الشريف، والتشرف بالسلام على النبي الكريم ﷺ وأصحابه الكرام في رحاب المدينة المنورة؛ نحسبها من أهم أمنيات كل مسلم على وجه الأرض.

وخصوصاً إذا أتم الله كرمه على الإنسان المسلم بأن وفقَّه لأداء منسكين عظيمين من مناسك الإسلام؛ وهما مناسك الحج والعمرة، وهو يستشعر تلك الأجواء الروحية المباركة، ويحس بالجهود العملاقة التي تبذل؛ لتوفير أقصى حدود

الأمن والسلامة، والراحة والرفاهية، للمواطنين والمقيمين، والحجاج والمعتمرين.

ومن أهم ما يستشعره الإنسان في هذه الرحلة المباركة؛ هو اجتماع المسلمين بمختلف مذاهبهم وأشكالهم وألوانهم وأعراقهم ليؤدوا منسكاً واحداً، في مكان واحدٍ لا يكادون يختلفون حتى في ما يلبسونه من زيٍّ موحَّدٍ.

يُشعرك كل ذلك بتجسيد واقع الأمة الواحدة التي أمر الله بها في قوله:

{ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ }[1].

ولأجل قرب حلول الأيام المباركة لمناسك الحج، وتأهب المسلمين من شتى أقطار العالم للاجتماع في هذه الرحاب الطاهرة؛ فإنه يتوجب على الدعاة والأئمة وخطباء المساجد، وطلبة العلوم الدينية، تفعيل دورهم في خصوص هذه الأيام.

وذلك من خلال توجيه وإرشاد هذا المسلم الذي سيتوجه إلى الحج، ليس فقط كيف يؤدي مناسكه تأدية صحيحة؟.

أو كيف يحافظ على صحته وسلامته في تلك الأجواء؟.

أو كيف يتعامل مع بعض المشاكل الأخرى المحتملة؟.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢

بل الأهم من ذلك كله: كيف سيتعامل مع أكثر من ملوني حاج من إخوانه المسلمين بمختلف مذاهبهم وأشكالهم وأعراقهم، وبمختلف عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم؟.

ليرجع من الحج وقد أدرك مغزى قوله تعالى: {وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(١).

وليكون من الذين طبقوا أمر الله تعالى بقوله: {وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ}(٢)، إذ تمام الحج والعمرة؛ ينبغي أن يكون من جميع تلك الجهات التي تكلمنا عنها آنفاً.

ونحن في هذا الكتيب - الذي بين يديك عزيزنا القارئ - نقدم أحد خطابات رجل دينٍ مبدع من هذه البلاد المباركة، عوَّدنا على تكريس تلك اللغة الوحدوية التسامحية بين المواطنين بشكل خاص، وبين المسلمين بشكل عام؛ بمختلف توجهاتهم وأوطانهم، من خلال كتاباته الرائعة، التي منها:

- الإخاء (حتى لا تكون عملة نادرة).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣
(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦

- **الإنسان (في قمة عطائه وإيثاره).**
- **سلسلة شخصيات من بلادي الحبيبة.**
- **ومقالاته الرصينة، في الصحف المحلية والعربية، ومنها:**
- **انصروا رسول الإنسانية.**
- **الملك عبد الله.. لا لانغلاق نعم للحوار.**

وخطاباته الرنانة، حول الوحدة والتسامح، ومنها:

- **وطن واحد (يسع الجميع وتضامن لحمايته الجميع).**
- **التسامح.. (أقصر الطرق إلى الوحدة).**
- **الوسطية.. (طريق بناء الأديان والأوطان).**

وها هو يفاجئنا بموضوعاته الهامة التي ألقاها في خطبتي عيد الفطر المبارك لعام: (١٤٢٧ هـ)، حيث كان لهما الأثر الكبير فيمن حضر أو استمع لهما، وكانتا تحت العناوين التالية:

الخطبة الأولى: العيد.. فرصة للإحساس بهموم المسلمين.

الخطبة الثانية: الحج.. نموذج الوحدة الأمثل.

ومن هذا المنطلق فإن إدارة دار هجر للنشر والتوزيع من خلال قوله تعالى: {وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ} وقوله عَزَّوَجَلَّ: {وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ}؛

تنتهز هذه الفرصة لتكون هاتين الخطبتين باكورة أعمالها، ضمن سلسلة مطبوعاتنا تحت عنوان:

«وقفات مع مفاهيم ومناسبات إسلامية».

وهي دعوة صادقة لجميع الكتَّاب والمثقفين لنشر مطبوعاتهم من خلال هذه السلسلة المباركة، وستسعى إدارة الدار بجميع منسوبيها تقديم العون اللازم والخدمات الممكنة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لجنة التدقيق والمراجعة

دار هجر للنشر والتوزيع

٦/١٠/١٤٢٩هـ

الديباجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وآله، وسلامه ومغفرته ورضوانه، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، ونبيك وصفيك، صلاة تامة نامية زاكية، ترفع بها درجته، وتبين بها فضيلته، وصل على محمد وآل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد

مجيد.

الفريضة العظمى

قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ}[1].

من أعظم الشعائر الدينية المهمة، والتي نستقبلها في قادم الأيام، فريضة فرضها الله على من استطاع من خلقه، استطاعة مادية، وبدنية، وعائلية.

وهي فريضة الحج، تلك الفرضة التي تجتمع فيها غالب العبادات الشرعية، فهي إنفاق للمال، وتعب للبدن، وسعي، ووقوف، ومبيت، وطواف، وتعامل مع المسلمين، وغير ذلك.

وزيادة على ذلك؛ فهي لقاء الله تعالى، وضيافة الجليل جل علاه، ومن استطاع على أدائها ولم يؤدها فهو كافر بنص الآية المباركة السابقة.

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (من سوَّف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً)[2].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٢) بحار الأنوار، ج: ٧٧، ص: ٥٨.

وفي تفسير قوله تعالى: { وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا }[1]، عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام: (ذاك الذي يسوف حجة الإسلام يقول: العام أحج، العام أحج، حتى يجيئه الموت)[2].

من فوائد الحج وآثاره

ولمن يخاف أن تنقص تكاليف الحج من ثروته وأمواله يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حجوا تستغنوا)[3].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: (نفقة درهم في الحج تعدل ألف درهم في غيره في البر)[4].

ولكن ليحرص المؤمن أن يكون ذلك المال الذي سيخصصه للحج مالاً حلالاً لم تتعلق به حقوق أخرى، فعن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: (إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حل فحج، فلبى، نودي: لا لبيك ولا سعديك)[5].

وعن فوائد الحج والعمرة الأخرى يقول الإمام زين

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.
(٢) ميزان الحكمة، ج: ١، ص: ٥٣٦.
(٣) كنز العمار، ج: ٥، ص: ١٠.
(٤) جامع الأحاديث، ج: ١٠، ص: ١٨٦.
(٥) منتهى المطلب، ج: ٢، ص: ١١٦.

العابدين علي بن الحسين عليه السلام:

(حجوا واعتمروا؛ تصح أجسامكم وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة الناس، ومؤونة عيالاتكم)[1].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: (حج البيت والعمرة فإنهما ينفيان الفقر، ويكفران الذنب، ويوجبان الجنة)[2].

آداب الحج والمعتمر

إلا أن الحج الذي هذا ثوابه، له شروط وآداب، يقول عنها تعالى: {ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ}[3].

ومن أجمل الكلمات التي جمعت هذه الآداب ما نُقل عن الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام حينما قال:

(إذا أردت الحج، فجرِّد قلبك لله تعالى عن كل شاغل،

(١) ثواب الأعمال، ج: ٣، ص: ٧٠.
(٢) ميزان الحكمة، ج: ١، ص: ٥٣٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

وحجاب كل حاجب.

وفوِّض أمورك كلها إلى خالقك.

وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلِّم بقضائه وحكمه وقدره.

ودع الدنيا والراحة والخلق.

وأخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين.

ولا تعتمد على زادك وراحلتك، وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصيروا لك عدوا ووبالاً؛ فإن من ادَّعى رضا الله واعتمد على شيء صيِّره عليه عدواً ووبالاً، ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه.

واستعد استعداد من لا يرجو الرجوع.

وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

وما يجب عليك من الأدب والاحتمال، والصبر والشكر، والشفقة والسخاء، وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع.

وأحرم من كل شيء يمنعك من ذكر الله، ويحجبك عن طاعته.

ولَبِّ، بمعنى: إجابة صافيــة زاكية لله عَزَّوَجَلَّ في دعوتك له، متمسكاً بعروته الوثقى.

وطُفْ بقلبــك مع الملائكة حــول العــرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.

وهرول هرولة مَنْ هَوَاك، وتبريّاً من جميع حولك وقوتك.

فاخرج من غفلتك وزلاتــك بخروجك إلى منى، ولا تتمنَّ ما لا يحل لك ولا تستحقه.

واعترف بالخطايا بعرفات، وجدِّد عهدك عند الله بوحدانيته.

وتقرَّب إلى الله، ذا ثقة بمزدلفة.

واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل

واذبح حنجرتي الهوى والطمع عند الذبيحة.

وارم الشهوات والخساســة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات.

واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك.

وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم.

وزر البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه.

واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزته.

وودِّع ما سواه بطواف الوداع.

وصفٍّ روحك وسـرك للقاء الله يوم تلقـاه؛ بوقوفك على الصفاء.

وكن ذا مروَّة من الله، تقياً أوصافك عند المروة.

واستقم على شرط حجك هذا، ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك، واوجبته إلى يوم القيامة)[1].

وعن الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام:

(ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال:

ورع يحجزه عن معاصي الله تعالى.

وحلم يملك به غضبه.

وحسن الصحبة لمن صحبه)[2].

واعتصموا بحبل الله جميعاً

ومن أهم الأمور بعد كل هذا:

أن يعكس الإنسان المسلم صورة ناصعة من الورع والحلم وحسن الصحبة، وخصوصاً مع ممن يخالفونه في مذهبه، ويكون في دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

---

(١) مصباح الشريعة، ص: ١٤٢.

(٢) الكافي، ج: ٤، ص: ٢٨٥.

كل ذلك حتى يعكس لأخيه المسلم - من أي بلد كان - صورة ناصعة من التآلف والمحبة والوحدة الإسلامية، ينقلها الحاج إلى وطنه، ويشيعها بين قومه، لتكون مناسك الحج بحق؛ النموذج الأمثل للوحدة الإسلامية، التي ستقود الأمة إلى استرجاع حقوقها ومكانتها المرموقة.

دعاء الختام

(اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم حيث كانوا، في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شي قدير.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، ولمن هو لاحق بهم، واجعل التقوى زادهم، والجنة مآبهم، والإيمان والحكمة في قلوبهم، وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي انعمت عليهم، وأن يوفوا بعهدك الذيي عاهدتهم عليه، إله الحق وخالق الخلق أجمعين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

اذكروا الله، فإنه ذاكر لمن ذكره، وسَلُوه رحمته وفضله،

(١) سورة النحل: الآية٩٠

فإنه لا يخيب عليه داعٍ من المؤمنين دعاه.﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1])[2].

(١) سورة البقرة: الآية٢٠١.

(٢) ملاحظة: ما بين قوسين من مقدمة الخطبة وخاتمتهما مقتبس من خطبتي الفطر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مرويتان عن أبي محنف عن جندب بن عبد الله الأزدي عن أبيه، راجع: مصباح البلاغة المير جهاني، ج: ٢، ص: ٣٠٤ ـ ٣١٠.

المحتويات

الديباجة ٥
الرسالة الأولى: واجب خطباء المنبر ٨
الرسالة الثانية: واجب آبائي الوكلاء (وكلاء المجالس) ١١
الرسـالة الأخيرة: إليكم أنتم إخواني المؤمنين المستمعين في كل مجالسنا ١٤
كلمة الختام ١٧
انصروا.. رسول الإنسانية ١٨